

## الإنتاج الفكري في الأدب المغربي خلال القرن العشرين : مقارنة ببيئومترية.

د. حسن الوزاني

أستاذ

مدرسة علوم المعلومات

المغرب

[hassan.elouazzani@gmail.com](mailto:hassan.elouazzani@gmail.com)

### مستخلص

يقوم المقال على هدف مركزي يكمن في مقارنة مسارات الإنتاج الفكري في الأدب المغربي المكتوب باللغة العربية، والمنشور خلال الفترة الممتدة من سنة 1929 إلى سنة 1999. وذلك بهدف تمثل وتحليل مختلف امتدادات بنياته المرتبطة، سواء بمنتجيه، أو بمكونات نشره، أو بمجال التداول الموازي له.

وانسجاما مع ذلك، يكشف المقال عن جوانب التباين، على مستويات توزع الإنتاج داخل مختلف الأجناس الأدبية، ومكونات بنيات المنتجين، وتوزع إسهام بنيات النشر وطبيعة مكوناتها. وتحفظ هذه التباينات بحدود معينة من الترابط. كما أنها تظل رهينة شروط أدبية وسوسيوثقافية، تهم خصوصيات أدبية الأجناس، وشروط وسياقات تطورها.

**الكلمات المفتاحية :** الإنتاج الأدبي - المغرب - قطاع النشر - منتج الأدب - إنتاجية الأدباء - قانون لوتكا.

## Moroccan literary production during the twentieth century: a bibliometric approach

**Dr. Hassan El Ouazzani**

Professor

School of Information Science

Morocco

[hassan.elouazzani@gmail.com](mailto:hassan.elouazzani@gmail.com)

### Abstract

This article focuses on a central goal which lies in the approach of Moroccan literary production written in Arabic, published during the period from 1929 to 1999. It aims to represent and analyze the various extensions of its structures, whether related to its producers, components of publication, or parallel circulation.

With this in mind, the article shows up aspects of variation, at levels of distribution of production within different literary genres, as well as components of producers' structures, distribution of the contribution of publishing structures and the nature of their components. These variations keep certain limits of interconnection. They also remain under the terms of literary and socio-cultural conditions, concerning the specificities of literary genres and the conditions and contexts of their evolution.

**Keywords:** Literary production- Morocco- Publishing sector-- Literature producers- Writers' productivity- Lotka's law.

### تقديم

يشكل الإنتاج الفكري في الأدب المغربي والمكتوب باللغة العربية أحد المكونات الأساسية لبنية الثقافة المغربية. ويستمد أهمية حضوره من اعتبارات وعوامل ثقافية واجتماعية وتاريخية. وتكمن هذه العوامل من جهة، في طبيعة وخصوصيات الأدب، باعتباره شكلا تعبيريا تتسم حركيته بترايباتها المفترضة مع شروط إنتاجه وتداوله وسياقاته السوسيو-ثقافية العامة. وذلك انسجاما مع انتماء الأدب، في نفس الآن، إلى الذهنيات الفردية والأشكال المجردة والبنىات الجمعية، حسب روبير إسكارييت<sup>1</sup>.

وترتبط هذه العوامل من جهة ثانية، بخصوصيات الممارسة الأدبية بالمغرب. وتهم طبيعة ترابطها بتحولات البنية الثقافية المغربية وبأسئلة مختلف لحظاتها، وارتباطاتها بمسار تطور البنية الاجتماعية. وتكمن تجليات أهمية الممارسة الأدبية في سمات ومؤشرات حضور مكوناتها ضمن الفضاء الثقافي العام. وبهم ذلك مجالات نشر الكتاب الأدبي، وتداوله، وأشكال التواصل الأخرى المتجلية في الصحف والمجلات، وفي اهتمامات العمل الجمعي.

وتسعى الدراسة إلى مقارنة مسارات ظهور وتطور الإنتاج داخل مختلف أجناس الأدب المغربي، بغية الكشف عن متغيرات حركية الإنتاج خلال مختلف لحظاته، وعن مستويات ترابطاته ببنى منتجيه ونشره، ومجالات التداول الموازية له، وذلك عبر تطبيق المنهج البيليومتري.

### مشكلة الدراسة

ظل الإنتاج الأدبي المغربي، كما هو حال الإنتاج في بقية البلدان العربية، يحتل حضورا مركزيا، مقارنة مع بقية المجالات الفكرية والعلمية، وذلك سواء على المستوى الكمي الذي يتحقق عبر توالي الإصدارات، أو على مستوى حضوره كجزء أساس من حركية الفضاء الثقافي العام.

وتشكل العودة إلى تحليل هذا الإنتاج مطحا علميا تقضيه الحاجة إلى فهم خصوصيات ودلالات حضور هذا الإنتاج ومقاربه حركيته ومتغيراته، ارتباطا بسياقتها السوسيو-ثقافية.

وتقترح هذه الدراسة قراءة مغايرة، يبتغي جانب منها إعادة مساءلة واختبار عدد من نتائج الأدبيات النقدية التي ظلت تشكل إلى حد الآن المنفذ الوحيد لتحليل هذا الأدب، وذلك في أفق الإسهام في تمثّل جانب من أسئلة الترابط المفترض بين حدود الفردي والجماعي، على مستوى حركة الإنتاج الفكري في الأدب المغربي، وفي الإنصات للامتدادات العميقة لمسارات هذه تلك.

## أهمية الدراسة

تستمد دراسة الإنتاج الفكري في الأدب المغربي الصادر خلال القرن العشرين والمكتوب باللغة العربية أهميتها من خصوصية مقارنة مسارات ظهور وتطور الإنتاج داخل مختلف أجناس هذا الأدب، بغية الكشف عن متغيرات حركية الإنتاج خلال مختلف لحظاته، وعن مستويات ترابطاته ببنيات منتجه ونشره، ومجالات التداول الموازية له.

## أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى تحقيق هدفين أساسيين. يكمن الأول في تحليل متغيرات إنتاج الأجناس الأدبية على مستوى الإنتاج الفكري في الأدب المغربي. ويتجلى الثاني في البحث في حدود ودلالات الترابط بين متغيرات هذا الإنتاج وبنيات منتجه ونشره وتداوله.

## أسئلة الدراسة

تسعى الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة التالية:

ما هي متغيرات حجم إنتاج الأجناس الأدبية حسب مختلف لحظات إنتاجها؟

ما هي متغيرات بنية منتجي أعمال الأجناس الأدبية؟

ما هي متغيرات بنية نشر الأجناس الأدبية؟

ما هي مستويات ودلالات ترابط وتباين متغيرات بنيات منتجي الأجناس الأدبية؟

ما هي مستويات ودلالات ترابط وتباين متغيرات بنيات نشر الأجناس الأدبية؟

## منهج الدراسة

تقوم مقارنة خصوصيات متغيرات الإنتاج الأدبي المغربي داخل مختلف أجناسه على توظيف المقاربة السوسيو-ببليومترية، وذلك، من خلال ثلاث مستويات.

يرتبط الأول بوسيلة الإحصاء كأساس لتحليل متغيرات الإنتاج وتوزعه على مختلف لحظات إنتاجه، وعلى مجمل أجناسه، ولمقاربة تحولات بنية المنتجين، ومتغيرات مكونات إسهام بنية النشر.

ويقوم المستوى الثاني على توظيف جانب من القوانين البليومتريّة، والمتجلية أساساً في قانون لوتكا. وذلك بهدف مقارنة إنتاجية الأدباء المغاربة، من خلال البحث في حدود ودلالات الترابط بين عددهم وحجم إسهامهم على مستوى إصدار الأعمال الأدبية.

ويتأسس المستوى الثالث على توظيف آليات سوسولوجيا الأدب التجريبية، والتي تقوم على دراسة الفعل الأدبي أكثر منه على تناول العمل الأدبي. وتمنح هذه لمقاربة المنهجية إمكانيةً تجاوز التناول الوصفي. وهو تجاوز يفرضه اعتباراتٌ مركزية تهتمّ سواء، طبيعة الأدب ذاته، كشكل تعبيرية، تتداخل في تحديد خصوصياته جوانبٌ ذاتية وأخرى جمعيّة، وخصوصية دور الكاتب في بلورة الفعل الأدبي، وأهمية البعد المؤسّساتي وبنية التحتية في تحديد متغيرات الإنتاج الأدبي، ثم احتفاظ الممارسة الأدبية بحدود معينة من الترابط بسياقاتها السوسيوثقافية العامة.

### 1. تباينات الإنتاج على مستوى الأجناس

بلغ عدد مجمل الأعمال الأدبية المغربية الصادرة خلال الفترة الممتدة من سنة 1929 إلى سنة 1999، 1205 عنواناً<sup>2</sup>. واتسم هذا الإنتاج بتباين توزيعه حسب الأجناس الأدبية. وهو تباينٌ احتفظ بامتدادته المنتظمة في إطار مستويين رئيسيين. همّ الأول طبيعة توزيعه العام، بينما ارتبط الثاني بمتغيراته حسب لحظات الإنتاج. واحتفظ المستويان معاً بحدود معينة من الاختلاف، ارتباطاً بتباين شروط هذه اللحظات.

وارتباطاً بذلك، احتفظ التوزيع العام للإنتاج الأدبي على مستوى أجناسه، بالتباين بين الإنتاج الشعري، والإنتاج داخل الأجناس الأدبية الأخرى، حيث عرفت الفترة الممتدة من سنة 1929 إلى سنة 1999، كما يتضح من خلال الجدول (1)، صدور 550 مجموعةً شعريّةً، شغلت 45.64% من مجمل الإنتاج الأدبي الصادر خلال نفس الفترة. وبلغ عدد الأعمال الروائية والمجاميع القصصية، على التوالي، 298 عملاً روائياً، و268 مجموعةً قصصيةً، ويشغل ذلك، 24.73%، و22.24% من مجموع هذا الإنتاج. بينما انحصر عدد الأعمال المسرحية في 89 عنواناً، وهو ما يمثل 7.39%، فقط، من مجمل الإنتاج الأدبي.

## جدول (1) : لحظات إنتاج الأجناس الأدبية

مجمّل الإنتاج	أعمال مسرحية	أعمال قصصية	أعمال روائية	أعمال شعرية	فترات الإنتاج
16	4	3	4	5	1955-1929
50	3	15	12	20	1969-1956
155	15	45	24	71	1979-1970
291	20	57	73	141	1989-1980
693	47	148	185	313	1999-1990
1205	89	268	298	550	مجموع

ويتأسس التباين بين مستويات الإنتاج الشعري، وبين الإنتاج داخل الأجناس الأدبية الأخرى على اعتبارات تنتظم في إطار مستويين مركزيين. يهّم الأول وضع الكتابة الشعرية باعتبارها جنساً أدبياً يستند على تاريخ عريق، حقق الشعر في إطاره تراكماً كبيراً. وذلك خارج حدود تمثل مستويات أدبيته. وارتبط هذا الحضور بوظيفة الشعر النضالية والتي حكمت وضعه داخل البنية الاجتماعية التقليدية. وشكلت لحظة الاستعمار، كإطار عام لبداية ظهور نشر الأعمال الشعرية، مجالاً لتكريس هذه الوظيفة، حيث مثل الشعر، في إطارها، مجالاً لتكريس الالتحام بين الوعي الوطني والوعي الثقافي، في إطار مواجهة الاستعمار<sup>3</sup>.

وخارج متغيرات هذه الوظيفة التقليدية، احتفظ الشعر المغربي خلال مختلف اللحظات اللاحقة بسيادة حضوره بشكل تمّ معه تعميق الهوية بشكل أكثر وضوحاً، بين حجم إنتاجه وبين الإنتاج داخل الأجناس الأخرى، حيث عرف العقد التسعيني صدور 313 مجموعة شعرية، في مقابل 185 عملاً روائياً، على سبيل المثال. بينما لم يكن الفاصل بين حجم الإنتاج داخل الجنسين، خلال الفترة الممتدة من سنة 1929 إلى سنة 1955، يتجاوز عملاً واحداً، حيث صدرت خمس مجاميع شعرية، وأربعة أعمال روائية.

ويرتبط المستوى الثاني المحدد لتباين الإنتاج بتأخر ظهور الأجناس الأدبية الأخرى، والمتجلية في الكتابة القصصية والروائية والمسرحية. وهو تأخر ارتبط باعتبارات، تحتفظ بحدود معينة من الاختلاف حسب هذه الأجناس. غير أنها تنتظم بشكل عام في إطار شروط هذا التحول الأجناسي، ومحددات تمثل الامتداد الوظيفي لهذه الأجناس، وتطور الوعي بأسئلة أدبيتها.

وتتأسس هذه الشروط على محددات تاريخية وسوسيوثقافية ترتبط بشكل عام، بسيادة البنية الثقافية المحافظة، والقائمة على تكريس التراث التعبيري التقليدي باعتباره جزءاً من هويتها الثقافية<sup>4</sup>

وشكل تأخر هذه الأجناس محددًا مركزيًا لمسارات تكوينها، ولحجم الإنتاج داخلها، حيث توزعت انشغالات هذه المسارات على تجاوز البنية التقليدية المحافظة، وعلى خلق وعي جديد بأدبية الأجناس، ثم على إيجاد قارئها الخاص وبنية نشرها وتداولها. وخارج مستويات التباين الكبرى السابقة، اتسم توزع الإنتاج الأدبي على الأجناس الأدبية بعدم انسجام انتظامه داخل مجموعة من اللحظات. وهم ذلك متغيرات الإنتاج داخل جنسي القصة والرواية، اللذين يحتفظان بترابطاتهما الخاصة.

وارتباطاً بذلك، يكشف الجدول (1) عن لحظتين أساسيتين ينتظم في إطارهما مستوى توزع الإنتاج بين الجنسين. ترتبط الأولى بالفترة الممتدة من سنة 1942 إلى سنة 1979<sup>5</sup>. وتتسم هذه اللحظة بالحضور الخاص للإنتاج القصصي بالمقارنة مع الأعمال الروائية، حيث عرفت الفترة صدور 63 مجموعة قصصية، بينما انحصر عدد الأعمال الروائية، خلالها في 40 عنواناً.

وبشكلٍ مفارقٍ لذلك، حقق الإنتاج الروائي، خلال الفترة الممتدة من سنة 1980 إلى سنة 1999، تجاوزاً لمستوى هذا التوزيع، حيث بلغ عدد الأعمال الروائية 285 عملاً، بينما لم يتجاوز عدد المجاميع القصصية 205 مجموعة. وارتبط هذا الانتقال، خصوصاً، بدخول مجموعة من القصاصين والشعراء، والمشتغلين في حقول معرفية أخرى مجال الكتابة الروائية. وتم ذلك، بالتزامن مع تباين متغيرات شروط نشر وتداول الإنتاج داخل جنسي القصة والرواية.

وشكلت هذه التباينات، بمستوياتها المتعددة، جزءاً من تباينات عامة، ترتبط باختلاف مستويات متغيرات بنيات المنتجين وتحولات شروط النشر والتداول داخل الأجناس الأدبية، وهي مستويات تحتفظ بترايباتها العميقة بمشهد ثقافي أعم، يبحث باستمرار عن أفقٍ لتجاوز إكراهات حادثة تجربته.

## 2. متغيرات بنية المنتجين

تشمل بنية منتجي الأعمال الأدبية الصادرة خلال الفترة الممتدة من سنة 1929 إلى سنة 1999، 598 مُنتجاً. وتحفظ هذه البنية بمستويات عديدة من التباين، والتي تحكم سواء، طبيعة ظهورها المتأخر، أو توزع أدبائها على مختلف الأجيال، ومستويات إنتاجيتهم داخل الأجناس، أو حدود ترابطها بالبنية العامة التي تهم مجمل المشتغلين بالكتابة الأدبية خلال الفترة.

### 1.2. الظهور المتأخر لبنية المنتجين

ارتبط تكون الملامح الأولى للبنية الحديثة لمنتجي الأعمال الأدبية ببداية ظهور الإصدارات الأدبية ابتداء من سنة 1929. وشكلت امتدادات هذا التأخر أحد المحددات الأساسية لحجم بنية المنتجين، أو لمستوى إسهامهم طيلة لحظات طويلة من مسارات تطور المشهد الأدبي بالمغرب، حيث، لم يتجاوز، مثلاً، عدد الأدباء الصادرة أعمالهم خلال الفترة الممتدة من سنة 1929 إلى سنة 1955، كما يتضح من خلال الجدول (2)، 14 أدبياً، وذلك على مستوى كافة الأجناس الأدبية.

## جدول (2) : توزيع بنية المنتجين حسب الأجناس الأدبية

عدد الأبناء حسب أجناس الإنتاج					لحظات الإنتاج
مجمّل الأوب (*)	المسرحية	القصة	الرواية	الشعر	
14	4	3	3	5	1955-1936
43	3	13	12	22	1969-1956
106	10	34	17	57	1979-1970
181	12	46	51	95	1989-1980
551	27	113	120	232	1999-1990
598	47	156	160	322	مجمّل الفترات (**)

(\*) : تم أخذ بعين الاعتبار تعدد أجناس الإنتاج بالنسبة للأديب الواحد.

(\*\*) : تم الأخذ بعين الاعتبار تعدد إصدارات الأديب الواحد داخل لحظات مختلفة.

وقد شكل تأخرُ البنية الحديثة لمنتجي الأعمال الأدبي الحديثة امتدادا لاستمرار البنية التقليدية المحافظة. وهي بنية تتأسس على حضور وظيفة الفقهاء والعلماء باعتبارها محددًا مركزيا ضمن سيرورة إعادة إنتاج الثقافة الدينية المحافظة كمكونٍ أساسٍ من مكونات الحياة الاجتماعية، وكشكل من أشكال تكريس المشروع الرمزية لهذه للتركيبة. وارتباطا بذلك، شغل العلماء والفقهاء والمحدثون والشيخ والقضاة، 67.43 % من مجموع أصحاب العناوين الصادرة عن المطابع الحجرية خلال الفترة الممتدة من 1865 إلى 1936، بينما لم تتجاوز نسبة الأديباء<sup>6</sup>، 3.21%<sup>7</sup>.

ويستمدُّ هذا الحضورُ خصوصيته من طبيعة اشتغال الفقهاء والعلماء داخل مجال التعليم، حيث منح ذلك إمكانية إعادة إنتاج البنية الثقافية التقليدية، وضمان استمرارها كمجال لتكريس الثقافة الدينية المحافظة. وتمّ ذلك، خصوصا، من خلال الإصلاحات التي عرفتها جامعة القرويين، سواء في أواخر القرن الثامن عشر أو

خلال القرن التاسع عشر، والمنبثقة عن المنشور الصادر سنة 1203هـ-1788م من طرف محمد بن عبد الله، وعن ظهير مولاي عبد الرحمان الموجه إلى قاضي مدينة فاس والصادر في 12 محرم الحرام، فاتح 1261هـ. وتحدّد هذه الإصلاحات البرنامج الدراسي لجامعة القرويين في دراسة الدين أساساً، من خلال مجموعة من الأدبيات الفقهية وكتب الحديث، وفي دراسة كتب أدبية باعتبارها وسيلة لفهم الأدبيات الدينية.

## 2.2. مسار انبثاق بنية المنتجين الحديثة

فتحت الشروط السياسية والسوسيوثقافية الجديدة المزامنة للحظة الاستعمار هامشاً لتحول البنية التقليدية. وارتبط ذلك من جهة أولى، بانحصار سلطة العلماء بحكم تغير التراتبية الاجتماعية التي كانوا يشغلون ضمنها وضعا خاصاً. وتم ذلك، نتيجة تفكك البنية التعليمية التقليدية المرتكزة أساساً على جامعة القرويين، والتي تشكل أحد مصادر سلطتهم، وإعادة توظيف مكونات هذه البنية في إطار النظام التعليمي الاستعماري الجديد. وارتبط هذا التحول من جهة ثانية، بالتعارضات القائمة على اختلاف المرجعيات الثقافية والأصول الاجتماعية بين جيل المثقفين التقليدي، والجيل الإصلاحى السلفى، ثم الجيل المرتكز على أفكار الوطنية و"الحدّاءة"<sup>8</sup>. وهي تعارضات تجلت من خلال تباين التمثلات الثقافية للأجيال الثلاثة، وأشكال تصريفها على مستوى قنوات الاتصال والأشكال التعبيرية.

وفي سياق هذه التعارضات، عمل الجيل الأول على تكريس ثقافته التقليدية المحافظة كشكل من أشكال تبرير اندماجه في إطار سياسة الاستعمار، سواء من خلال إسهامه الفعلي في تثبيتها، أو من خلال صمته وحياده. وتأسست تصورات الجيل الثاني على الدعوة إلى "الإسلام الأصلي" القائم على القرآن والحديث باعتباره لا يتعارض مع التطور. بينما قام الجيل الثالث على الوعي بأهمية تمثّل ومعرفة الثقافة الغربية في إطار سيرورة مواجهة الاستعمار، سواء من خلال اللقاء المباشر بها أو من خلال وساطة الثقافة المشرقية الجديدة والتي تحمل بعض ملامح الثقافة الغربية.

وانسجاماً مع طبيعة تمثلاته الثقافية، اعتمد الجيل التقليدي، في تصريف أفكاره وفي تبرير مواقفه، أساساً على الزوايا وعلى مجموعة من المؤسسات التعليمية كجامعة القرويين، وذلك بشكل ينسجم مع بنية ثقافته

الشفوية ومع طبيعة ثقافة متلقيه. وبموازاة مع ذلك، عمل نفس الجيل على استثمار قنوات التواصل الاستعمارية، والتي تجلت أساساً في جريدة "السعادة" الرسمية<sup>9</sup>. وارتكزت قنوات تواصل الجيل الإصلاحي السلفي، خصوصاً في مرحلة انبثاقه الأولى، على المؤسسات التعليمية، اعتباراً لطبيعة التعارض والمواجهة المباشرة بينه وبين الجيل التقليدي، ولطبيعة أصوله المهنية التعليمية.

وحقق الجيل الثالث هامش اختلافه من خلال مستويين أساسيين. ارتبط الأول باستثمار المكونات الأولى لبنية النشر والطباعة، وإمكانيات التداول المتوفرة من خلال الصحافة والمجلات، وذلك بالإضافة إلى قنوات التواصل التقليدية المتجلية أساساً في المؤسسات التعليمية والمجالس الأدبية. وتجلّى المستوى الثاني في اختياره الكتابة الأدبية كشكل من أشكال تحقيق وطنيته. وارتباطاً بذلك، شكّل هذا الجيل النواة الأساسية لحركة نشر الأدب بالمغرب خلال المرحلة الممتدة إلى حدود نهاية الاستعمار، حيث أصدر أديبوه مجموع الكتب الأدبية خلال المرحلة<sup>10</sup>، وجزءاً هاماً من الأعمال المنشورة في الصحف والمجلات.

وشكلت شروط تأخر بنية المنتجين الحديثة وخصوصية سياق انبثاقها، محددًا مركزياً لامتدادات تطورها، ولجانب من تماثلها الثقافية ووعيها بأدبية وبأسئلة الكتابة الأدبية. كما حكمت نفس الشروط مستوى تطور إنتاجية الأديباء وحدود توزعها على مختلف الأجناس الأدبية.

### 3.2. مستويات توزع بنية المنتجين

تحتفظ بنية منتجي الأعمال الأدبية الصادرة خلال الفترة موضوع المقال، ببتاين مستويات توزعها، سواء على مستوى الأجناس الأدبية، أو على مستوى الأجيال. كما يحتفظ المستويان بترابط خاص، يحكم طبيعة وحدود حضور الأجيال على مستوى الأجناس الأدبية.

### 1.3.2. توزيع المنتجين حسب الأجناس

يتسم توزيع بنية منتجي الأعمال الأدبية على مختلف الأجناس، كما يتضح من خلال الجدول التالي، بتباين مستوياتها، حيث تحتفظ هذه البنية بسيادة حضور منتجي الأعمال الشعرية، والبالغ عددهم 322 شاعراً. وفي مقابل ذلك، بلغ عدد منتجي الأعمال الروائية والقصصية، على التوالي، 160 روائياً، و156 قاصاً. بينما انحصر عدد منتجي الأعمال المسرحية في 47 مؤلفاً مسرحياً.

ويتأسس الحضور الخاص لبنية منتجي الأعمال الشعرية على سيادة الكتابة الشعرية كجنس أدبي يحتفظ بتراكم تقاليده بالمقارنة مع الأجناس الأخرى. وهو التراكم الذي ساهم ضمن عوامل أخرى، في تحديد جانب من مستوى شروط إنتاجه ونشره وتلقيه.

جدول (3) : توزيع بنية المنتجين حسب الأجناس الأدبية

عدد الأبناء حسب أجناس الإنتاج					لحظات الإنتاج
مجمّل الأوب (*)	المسرحية	القصة	الرواية	الشعر	
14	4	3	3	5	1955-1929
43	3	13	12	22	1969-1956
106	10	34	17	57	1979-1970
181	12	46	51	95	1989-1980
551	27	113	120	232	1999-1990
598	47	156	160	322	مجمّل الفترات (**)

(\*) : تم الأخذ بعين الاعتبار تعدد أجناس الإنتاج بالنسبة للأديب الواحد.

(\*\*) : تم الأخذ بعين الاعتبار تعدد إصدارات الأديب الواحد داخل لحظات مختلفة.

واتسم توزعُ بنية المنتجين على جنسي الرواية والقصة بتقارب مستوييهما، حيث عرف الأولُ إسهام 160 روائياً، وبلغ عدد منتجي الثاني 156 قاصّاً. ويقوم هذا التقارب على خصوصية انتقال جانب من المنتجين بين الجنسين. ويرتبط ذلك، بترابطهما على مستوى جانب من مكوناتهما السردية المشتركة. وهو الترابط الذي شكل محدداً مشتركاً لجانب من متغيرات شروط الإنتاج والنشر والتلقي داخل مسارات تطورهما. وفوق ذلك، هم الانتقال إلى الكتابة السردية عدداً من الشعراء<sup>11</sup> والنقاد<sup>12</sup>، وباحثين في حقول معرفية أخرى كالتاريخ والفلسفة وغيرهما<sup>13</sup>.

وفي مقابل ذلك، احتفظت بنية منتجي الأعمال المسرحية بمحدودية مستواها، حيث انحصرت عددُ مؤلفي المسرحيات في 47 مؤلفاً. وارتبط هذا الانحصار، من جهة، بامتدادات تأخر ظهور الكتابة المسرحية بالمغرب، ومن جهة أخرى، بحدود ارتباط هذه الكتابة بالممارسة المسرحية كمجال رئيس لتداولها.

وتحتفظ بنية المنتجين العامة بمؤشرات مشتركة على مستوى مجمل الأجناس الأدبية. وتكمن أساساً، في هامش الانتقال بين مختلف الأجناس. ويقوم ذلك، سواء لاحتفاظ بعضها بمكونات أدبية مشتركة، كما هو الأمر بالنسبة لجنسي الرواية والقصة، أو لمتغيرات الوعي بمستوى الحدود الفاصلة بين مختلف الأجناس، اعتباراً لانتمائها الأدبي المشترك. وتم هذا الانتقال بالتزامن مع تحول مجموعة من الكتاب المشتغلين في إطار حقول معرفية أخرى إلى الكتابة الأدبية. وشكل ذلك أفقا للبحث عن أشكال تعبيرية جديدة<sup>14</sup>.

### 2.3.2. إنتاجية الأدباء من خلال قانون لوتكا

عرفت الفترة الممتدة من سنة 1929 إلى سنة 1999، صدورَ 1205 عمل أدبي، أسهمَ في إصداره 598 مُنتجاً. ويكشف التمثلُ المقارن العام لمستويي بنيتي الإنتاج والمنتجين عن تباينهما، القائم أساساً على طبيعة إنتاجية الأدباء المغاربة، باعتبارها، في نفس الوقت، امتداداً لمختلف التباينات التي تحكم حركية المشهد الأدبي بالمغرب، ومحدداً، ضمن محددات أخرى، لمستوى تطور الإنتاج الفكري في الأدب المغربي. وارتباطاً بذلك، يكشف الجدول (4) عن مستويات تفاوت توزع إنتاجية الأدباء المغاربة، حيث بلغت إصداراتُ 121 أدبياً، يمثلون 20.68 % فقط من مجمل الأدباء الصادرة أعمالهم، 636 عملاً أدبياً، وهو

ما يشغل 52.78 % من مجمل الإنتاج الأدبي الصادر. وفي مقابل ذلك، انحصر عدد أعمال 359 أديباً في عمل أدبي واحد، وذلك في الوقت الذي يشغل فيه هؤلاء، 61.36 % من مجمل المنتجين.

وانسجاماً مع قانون لوتكا، القائم على محاولة تبين حدود ومستويات التناسب بين عدد المنتجين وبين حجم إسهامهم، تتأسس مقارنة إنتاجية الأدياء المغاربة على اختبار العلاقة المفترضة التالية :

$$A(n) = k/n^2$$

حيث:  $n$  = عدد الأعمال الأدبية، و  $A(n)$  = عدد الأدياء الذين أصدروا عدد الأعمال الأدبية  $n$ ، و  $a$  = ثابتة (تساوي 2)، و  $K$  = ثابتة.

ويمكن تحويل العلاقة السابقة إلى علاقة خطية (  $A(n) = kn^{-a}$  )، وذلك بهدف توظيف تمثّل جديد لها قائم على توظيف طريقة المربعات الأصغر ( Méthode des moindres carrés ) :

$$\text{Log}(A_n) = -a \log n + \log k$$

$$= -ax + B$$

ويمنح التوظيف السابق النتائج التالية :

$$2.2a =$$

$$K = 428$$

$$r = 0.96$$

وتشكل النتيجة الأخيرة، التي تهم معادل التحديد (Coefficient de détermination)، عن مستوى مُحكَم من التعالق، كما تعتبره الأدبيات البيبليومترية<sup>15</sup>.

جدول (4) : توزيع الأبناء حسب مستويات إتاجيتهم

Log (n)	Log (An)	نسبة التراكم (%)	مجموع تراكم كمي الأعمال	عدد الأعمال (n)	نسبة التراكم (%)	تراكم عددي	عدد الأبناء* An
1.26	0	1.49	18	18	0.17	1	1
1.18	0.30	3.98	48	30	0.51	3	2
1.15	0.30	6.31	76	28	0.85	5	2
1.11	0	7.39	89	13	1.03	6	1
1.08	0	8.38	101	12	1.20	7	1
1.04	0	9.29	112	11	1.37	8	1
1.00	0.48	11.78	142	30	1.88	11	3
0.95	0.78	16.27	196	54	2.91	17	6
0.90	0.60	18.92	228	32	3.59	21	4
0.85	0.30	20.08	242	14	3.93	23	2
0.78	1.08	26.06	314	72	5.98	35	12
0.70	1.32	34.77	419	105	9.57	56	21
0.60	1.34	42.07	507	88	13.33	78	22
0.48	1.63	52.78	636	129	20.68	121	43
0.30	2.02	70.21	846	210	38.63	226	105
0	2.56	100.00	1205	359	100.00	585	359

				1205			585
--	--	--	--	------	--	--	-----

\* : تم اعتبار، وفق تصور إجرائي، الأعمال المشتركة أعمالاً لمنتج واحد، بشكل تم معه حصر عدد المنتجين في 585 أدبياً.

وانسجاماً مع ذلك، تكشف إمكانية تطبيق قانون لوتكا على إنتاجية الأدباء المغاربة، عن خصوصية التناسب العكسي بين عدد الأدباء وعدد أعمالهم، حيث إن عدداً أقل منهم يصدر عدداً أكبر من الأعمال الأدبية.

ويتأسس مستوى التناسب العكسي بين عدد الأدباء وبين حجم إسهامهم على اعتبارات ترتبط، سواء بشروط النشر والتداول، أو بطبيعة متغيرات بنية المنتجين.

وارتباطاً بذلك، تحتفظ مجموعة الأدباء المنحصرة أعمالهم في عمل أدبي واحد، والذين بلغ عددهم 359 أدبياً، بخصوصية انتماء 200 أديب منها إلى جيل التسعينيات. ويفسر ذلك جانباً من انحصار إنتاجها، والقائم على تغير شروط النشر خلال التسعينيات، والتي تمنح "جرأة" أكبر لإصدار العمل الأول. وذلك في نفس الوقت الذي يظل فيه تحقيق التراكم الإبداعي رهين قيمة التجربة الأدبية، وقدرتها على نسج مسارها الخاص.

وإلى جانب المؤشر السابق، يحتفظ مشهد الكتابة الأدبية بالمغرب بعلامتين أساسيتين. تتجلى الأولى في انحصار إنتاج مجموعة من الأدباء المغاربة في عمل واحد، وذلك مع استمرار حضورهم الأدبي الخاص. بينما تهتم الأخرى حضور "ظاهرة" الانقطاع عن الكتابة أو النشر. وهي "ظاهرة" تحتفظ داخل مسارات الإنتاج الأدبي المغربي، بثلاثة امتدادات أساسية، يكمن أولها في الانقطاع "النهائي" عن الكتابة، ويرتبط الثاني بالصمت العابر، بينما يهتم الثالث تحول مجموعة من الأدباء إلى حقول أخرى. وتحتفظ هذه الامتدادات بحدود من الترابط، اعتباراً لوضعها كمؤشر دال على جانب من وضع الإنتاج الأدبي، وذلك ارتباطاً بشروط نشره وتداوله، و بامتدادات جذّة التجربة الأدبية بالمغرب، بمفهومها الحديث.

وخارج مقارنة محددات إنتاجية الأدباء المغاربة، يحتفظ مستوى خضوعها للعلاقة التناسبية التي يكشف عنها قانون لوتكا، بأسئلته الخاصة المؤجلة. وهي أسئلة تهتم الشروط العميقة والخفية التي تشكل، بشكل

مفترض، هامشا مشتركا بين خصوصيات توزع إنتاجية الأدباء عموما، وإنتاجية المشتغلين داخل الحقول العلمية الأخرى، بما فيها الفيزيائية، والتي شكلت منطلق بلورة قانون لوتكا<sup>16</sup>.

### 3. متغيرات بنية النشر

بلغ عدد مؤسسات النشر المساهمة في إصدار الأعمال الأدبية المغربية 178 مؤسسة، تنتمي 128 مؤسسة منها، لبنية النشر المغربية. بينما تتوزع بقية المؤسسات على بنيات النشر المشرقية، والعربية الأخرى. واحتفظت هذه البنية، عموما، بطبيعة مكوناتها وتوزعها الجغرافي، ويحدود حجم إنتاجها ثم بتباينات حجم إسهامها، سواء بالنسبة لمختلف لحظات الإنتاج، أو بالنسبة للأجناس الأدبية. وشكلت هذه المستويات امتدادا لتأخر ظهور تكون بنية الطباعة والنشر المغربية، باعتباره محددًا أساسا، ضمن محددات أخرى، لطبيعة متغيرات شروط تطورها.

#### 1.3. تأخر ظهور بنية الطباعة والنشر بالمغرب

عرف دخول الطباعة إلى المغرب تأخرا بالمقارنة مع بقية الدول الإسلامية. وهم ذلك مختلف التكنولوجيا الطباعية، حيث دخلت الطباعة المركبة على الحروف سنة 1860<sup>17</sup>، وتم توظيف الطباعة الحجرية سنة 1865، وذلك بعد دخولها إلى لبنان سنة 1583<sup>18</sup>، بينما تأخر وصول الطباعة السلكية إلى المغرب، إلى بداية القرن العشرين<sup>19</sup>.

ولم يستطع دخول التكنولوجيا الطباعية أن يخلق بنية نشر حديثة، وذلك لاعتبارات عديدة ترتبط بتأخر دخولها، وبتوظيفها لنشر مجموعة من الصحف الصادرة باللغات الأوربية<sup>20</sup>، ثم بمنافسة المطابع المشرقية، سواء من خلال إنتاجها الوارد على المغرب عن طريق الحجاج والموجه أساسا لطلبة جامعة القرويين، أو من خلال توجه كتاب مغاربة لطبع إنتاجهم في المشرق<sup>21</sup>.

وفي نفس الإطار، ارتبطت سيرورة دخول الطباعة إلى المغرب بمستويات تمثل العلماء لوظيفتها ولحدود ومجالات استعمالها. وهي مستويات تتوزع على الدعوة إلى مقاومة استعمال الكتب المطبوعة بدعوى

إساعتها للنظام التربوي التقليدي<sup>22</sup>، و تقلد علماء آخرين مهام في مجال صناعة الكتاب كالإشراف على الناسخين بشكل مكنهم من توجيه الأنشطة الفكرية نحو الأدبيات التقليدية الإسلامية<sup>23</sup>.

وامتدادا لهذا التأخر، تأجل صدور أول عمل أدبي إلى سنة 1929، بينما لم تدخل بنية النشر الحديثة مجال نشر الأدب إلا ابتداء من سنة 1963<sup>24</sup>. وشكل ذلك، أحد الإكراهات الأساسية المحددة لطبيعة بنية نشر الأدب المغربي، وتطور إسهامها، وطبيعة اشتغالها المهني.

### 2.3. مستويات إسهام بنية النشر

بلغ عدد المنشورات الأدبية الصادرة عن مجمل مكونات بنية النشر العامة، بما فيها المشرقية والعربية الأخرى، 534 عنواناً. واحتفظ إسهام مكونات هذه البنية بتباين توزع إسهامها على مختلف الأجناس الأدبية. وارتباطا بذلك، احتفظ الشعر بحضوره الخاص، بالمقارنة مع الأجناس الأخرى، حيث بلغ عدد المجاميع الصادرة عن مؤسسات النشر، 195 مجموعة شعرية، شغلت 36.52 % من مجموع الأعمال الأدبية الصادرة عن مؤسسات النشر. وارتبط ذلك، أساسا بتطور إسهام بنية النشر خلال التسعينيات، حيث بلغ عدد منشوراتها 109 مجموعة شعرية، شغلت 55.89% من مجموع الإنتاج الشعري الصادر عن مؤسسات النشر.

جدول (5) : توزيع إسهام بنية النشر على مستوى الأجناس الأدبية

مجموع الأعمال	شعر		رواية		قصة		تأليف مسرحي		مجموع الأدب	
	أعمال	%	أعمال	%	أعمال	%	أعمال	%	أعمال	%
ناشرون	195	52,3	149	90,2	148	72,2	42	87,7	534	100

\* : بالنسبة لمجموع الأعمال الصادرة عن مؤسسات النشر.

واتسم إسهامُ مؤسسات النشر بتقارب حجم إسهامها على مستوى نشر الإنتاج الروائي والقصصي. حيث بلغا، على التوالي، 149 عملاً روائياً، و148 مجموعة قصصية. ويتأسس هذا التقارب على تداخل جانب من مسارات ظهور وتحولات شروط إنتاج ونشر وتداول إنتاج الجنسين، اعتباراً لاحتفاظهما بمستويات إبداعية مشتركة، تقوم على انتمائهما إلى الكتابة السردية عموماً.

وفي مقابل ذلك، احتفظ التأليف المسرحي بمحدودية إسهام دور ومؤسسات النشر على مستوى نشر إنتاجه، حيث لم يتجاوز عدد الأعمال الصادرة عنها، 42 عملاً مسرحياً، وشغل ذلك، 8.87% فقط، من مجموع الأعمال الأدبية الصادرة عن مكونات بنية النشر. وتعود محدودية المنشورات إلى طبيعة متحولات مسار تطور الكتابة المسرحية عموماً، والمتسمة بارتباطها الخاص بالممارسة المسرحية ك مجال أساس لتداولها.

وخارج هذه التباينات، شكل العقد التسعيني، في إطار المستوى الثاني، لحظة انعطاف كمي على مستوى إسهام بنية النشر. وهم ذلك مجمل الأجناس الأدبية، حيث بلغت منشورات هذه البنية، 287 عملاً أدبياً، وذلك في نفس الوقت الذي لم يتجاوز فيه عدد منشوراتها، خلال الفترة الممتدة من سنة 1929 إلى 1998، 247 عملاً أدبياً. ويقوم هذا الانتقال الكمي، على خصوصية توسع بنية النشر خلال نفس الفترة، حيث بلغ عدد مكوناتها 114 مؤسسة، وذلك في الوقت الذي لم يتجاوز عددها خلال الفترة الممتدة من سنة 1929 إلى 1989، 96 داراً ومؤسسة. وتم هذا الانتقال ارتباطاً بتأسيس دور نشر جديدة، وبدخول أخرى مجال نشر الأدب المغربي. وذلك، في سياق التحولات العامة التي همت شروط الإنتاج والنشر والتداول الأدبي، والثقافي عموماً، خلال التسعينيات.

وبشكل عام، احتفظ إسهام مجمل مكونات بنية النشر بمحدوديته العامة، حيث لم يتجاوز مجمل الأعمال الأدبية الصادرة عن مجمل مكونات هذه البنية، خلال مجمل لحظات الإنتاج، 534 عنواناً، وشغل ذلك 44.31% من مجمل هذه الأعمال. بينما احتفظت الأعمال الصادرة على نفقة الأدباء بسيادة حجمها، حيث بلغت 671 عملاً أدبياً، وهو ما يمثل 55.68% من مجموع الأعمال الأدبية الصادرة. وشكل ذلك، امتداداً لتأخر ظهور بنية النشر المغربية خصوصاً، ولطبيعة شروط تحولاتها، المحتفظة، بشكل عام، بمحدودية تنظيمها المؤسساتي.

## خاتمة

انسجاماً مع مختلف مستويات المتغيرات السابقة، شكلت مسارات الإنتاج الفكري في الأدب المغربي خلال الفترة الممتدة من سنة 1929 إلى سنة 1999، لحظات أساسية ودالة على مستوى تطور الأدب المغربي الحديث. وهي لحظات احتفظت في نفس الوقت بمستويات من الترابط والتباين، بين مكونات بنيات الإنتاج، والمنتجين، والنشر والتداول. وتتأسس طبيعة هذه المستويات على الظهور المتأخر للأدب المغربي الحديث ولبنىات منتجه ونشره.

وشكلت امتدادات هذا التأخر، خلال لحظات طويلة، محددًا لجانب من مستوى تطورها. بينما فتح تراكم التجارب الأدبية وبحثها المستمر عن مجالات جديدة للانشغالات الأدبية وعن فضاءات أخرى للتداول، هامشًا لتجاوز جانب من إكراهات هذه الامتدادات.

<sup>1</sup> Escarpit, Robert (1970). Le littéraire et le social. Le littéraire et le social. Paris: Flammarion.

<sup>2</sup> يستند المقال على مستوى المعطيات الإحصائية إلى البحث الذي كان أنجزه حسن الوزاني والموسوم بـ "الأدب المغربي الحديث : 1929-1999، ببيوغرافيا ودراسة ببيومترية"، والصادر عن دار الثقافة بالمغرب.

<sup>3</sup> السولامي، ابراهيم (1974). الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية. الدار البيضاء : دار الثقافة.

<sup>4</sup> Laroui, Abdellah (1967). *L'Idéologie arabe contemporaine*. Paris : F. Maspero.

<sup>5</sup> صدر أول عمل روائي إلى سنة 1942، بينما تأجل صدور أول مجموعة قصصية إلى سنة 1947.

<sup>6</sup> من أدباء هذه المرحلة محمد بن رشيد البغدادي ومحمد اكنسوس وإدريس بن محمد العمراوي ومحمد كنون ومحمد بن الشيخ ومحمد غريب ومحمد البيضاوي الشنجيبي والمفضل أفيلال ومحمد الصنهاجي وعبد الله اكنسوس ومحمد الرغاي والعربي بن السايح.

<sup>7</sup> Mesquini, Fatima (1994). *La Production lithographique au Maroc : 1865-1944*. Rabat, ESI : *Mémoire du Cycle supérieur*.

<sup>8</sup> *Ecrivains marocains, du protectorat à 1965 : Anthologie (1974)*. Choix, traduction de l'arabe et présentation par Mohammed Benjelloun Touimi, Abdelkebir Khatibi et Mohammed Kably. Paris, Sindbad

<sup>9</sup> نشرت جريدة "السعادة" قصائد لشعراء مغاربة تحتفي بالاستعمار الفرنسي. من بينها : قصيدة لمحمد بوجندار عن ترقية الجنرال ليوطي بعد الحرب العالمية الأولى (السعادة. ع.21، أبريل 1919)، وقصيدة لعبد الرحيم الكتاني عن انتصار فرنسا في الحرب العالمية الأولى (جريدة السعادة. ع.17 يوليو 1919)، وقصيدة "تحية النظام وذويه" لمحمد البيضاوي الشنجيبي (السعادة. ع.13. 1926).

<sup>10</sup> يتضح ذلك من خلال مجموعة الأدباء الذين أصدرت أعمالهم الأدبية خلال المرحلة، وهم عبد القادر حسن ومحمد بن محمد مكار والحسين أفيلال والتهامي الوزاني ومحمد بن الحاج عمر ومحمد العربي الشاوش وأحمد زياد عبد المجيد بنجلون وعبد المالك البلغيثي وعبد القادر المقدم ومحمد الخضر الريسوني ومحمد الصباغ وأحمد عبد السلام البقالي وعبد الهادي بوطالب.

<sup>11</sup> يتعلق الأمر على سبيل المثال بالشعراء محمد الأشعري (جنوب الروح)، وعبد الله زريقة (المرأة ذات الحصانين)، وحسن نجمي (الحجاب)، وصلاح الوديع (العريس)، ورشيد نيني (يوميات مهاجر سري).

<sup>12</sup> يتعلق الأمر على سبيل المثال بالنقاد محمد الدغمومي (بحر الظلمات)، وبشير القمري (سر البهلوان)، وزهور كرام (جسد ومدينة).

<sup>13</sup> يندرج في هذا الإطار المختص في الفلسفة والشاعر بنسالم حميش (مجنون الحكم)، والمؤرخ أحمد التوفيق (جارات أبي موسى).

<sup>14</sup> كتب المؤرخ والمفكر عبد الله العروي الذي صدرت له خمسة أعمال روائية، "مبررا" انتقله إلى الكتابة الروائية "أحس أن هناك مشاكل أتناولها بالتحليل المبني على العقل، أكان في مجال الايديولوجيات، أو في ميدان البحث التاريخي. ولكن، هناك أيضا مظاهر في الحياة لا تخضع لقوانين العقل (..) لذلك أعبر عنها كما أشعر بها، وأؤدي إلى القارئ، بكيفية مباشرة، هذا الشعور، دون أن تكون هناك وساطة العقل".

<sup>15</sup> Coile, Russel (1977). *Lotka's frequency distribution of scientific productivity*. JASIS. Nov. pp. 366-370.

<sup>16</sup> Nicholas, D; Ritchie, M. (1978). *Literature and bibliometrics*. London : Clive Bingley.

17 بدأ استعمال الطباعة المركبة على الحروف اللاتينية بتطوان سنة 1860 في إطار الحملة الإسبانية، بينما تأخر استعمال الطباعة المركبة على الحروف العربية إلى سنة 1889 وذلك مع بداية إصدار جريد "المغرب" من طرف مجموعة من العرب المسيحيين.

18 تم دخول المطبعة الحجرية إلى المغرب عن طريق الطيب بن محمد الروداني. وكان أول كتاب تصدره المطبعة هو كتاب "الشمائل المحمدية" لأبي عيسى بن محمد الترمذي، وذلك يوم 4 صفر 1282هـ-1865م.

19 تم استعمال الطباعة السلوكية العربية في إطار "المطبعة المغربية" لطبع جريدة "الصباح" ثم مجلة "الصباح".

20 يندرج في هذا السياق، استعمال الطباعة المركبة على الحروف بتطوان سنة 1860 في إطار الحملة الإسبانية، واستعمالها بطنجة سنة 1870 لطبع جريدة "عين طنجة" بالفرنسية والتي كان يصدرها الاتحاد الإسرائيلي، تم توظيفها لطبع جريدة "الأيام المغربية" بالإنجليزية سنة 1884.

21 تندرج في هذا الإطار حالة أحمد بن خالد الناصري الذي صدر له كتاب "الاستقصا لأخبار دولة المغرب الأقصى" بالقاهرة بينما صدرت طبعته الثانية بالمغرب سنة، 1956 وذلك عن دار الكتاب بالدار البيضاء.

22 يمثل هذا الاتجاه أساسا العالم محمد بن ابراهيم السباعي الذي كتب "رسالة في الترغيب في المؤلفات الخطية، والتحذير من الكتب المطبوعة، وبيان انها سبب في تقليل الهمم، وعدم حفظ العلم ونسيانه".

23 فوزي، عبد الرزاق (1996). مملكة الكتاب، تاريخ الطباعة فيا لمغرب. ترجمة خالد بن الصغير. الرباط : منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

24 أصدرت دار النشر المغربية، خلال سنة 1936، ديوان "صامدون" لمحمد علي الهواري.